التضمين عند ابن القيم

عرض ودراسة

دكتور/ وليد بن حزام بن كديميس الشيباني
أستاذ مساعد
بقسم القرآن وعلومه -كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ملخص البحث

يتركز البحث حول عرض آراء ابن القيم حول التضمين ودراستها من خلال مؤلفاته ، كما يهدف البحث إلى إبراز أسلوب التضمين كأسلوب مستعمل عند العرب ، ويلقي الضوء على تعريف التضمين ومدى أهميته الكبيرة ، ومعرفة أقسامه عند النحاة ، وأثر كل قسم منها على علم التفسير ، وتخريج بعض الإشكالات التفسيرية على هذا الأسلوب ، كما يهدف البحث لإبراز القيمة العلمية لآراء الإمام ابن القيم وجهوده في هذا الباب.

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي وذلك باستخراج كلام ابن القيم من كتبه وترتيب الآيات على حسب سور المصحف ، ونقل كلامه ودراسته من خلال كتب المفسرين ومعرفة الموافق والمخالف له في هذا الباب ، وبعد ذلك أبين أثر القول بالتضمين وفائدته في تفسير الآية ، وتعداد المعاني.

وقد توصلت إلى نتائج منها : عناية ابن القيم بهذا الأسلوب البياني ، وأثر المدرسة البصرية في القول بتضمين الفعل حيث يَظهر به الإعجاز البلاغي في الآيات ، وأن التضمين في الحرف يعد من أسهل التخريجات في التفسير كما هو رأي مدرسة الكوفة.

ومن أهم توصيات البحث : دراسة التضمين عند المفسرين دراسة وافية ومعرفة تقديرهم للفعل المضمن.

-الكلمات الدالة (المفتاحية):

ابن القيم – التضمين – إنابة حروف الجر – التضمين بالفعل

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد:
فإن كتاب الله تعالى قد بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة ، وتميزت آياته بنظم عجيب ، وتركيب بديع ، فما من آية إلا لها نظمها الخاص ، وقالبها المتقن ، لا تزيد فيه ولا تنقص ، وما من آية في كتاب الله إلا ولحروفها وتركيبها دلالة ومغزى ، ومقصد وغاية ، يعرفها من يعرفها ، ويجهلها من يجهلها.

ولما كان النظم القرآني بهذه الفصاحة ؛ عني المفسرون بأسلوب القرآن البياني، والكشف عن أسراره المودعة في مفرداته وتراكيبها واستعمالات هذه المفردات وتلك التراكيب.

وإن ممن عني بهذا من العلماء ؛ الإمام الجهبذ ابن القيم –رحمه الله– ، فقد تناول تفسير بعض الآيات وكشف عن بلاغتها ، وبحث في أساليبها البيانية ، وخصوصا ما يتعلق بموضوع : (التضمين) ، كونه أحد أساليب العرب منذ القدم ، وأحد الأساليب البيانية التي نزل القرآن الكريم بها ، فما من فعل إلا وله تعدية تخصه من بين الحروف ، ومجيئه خلاف ذلك له سر ودلالة ، وهذا ما حاول ابن القيم الكشف عنه ، والمساهمة في تعداد المعاني اللغوية والوقوف على اللطائف القرآنية ، فكان هذا البحث موسوما بـــ : (التضمين عند ابن القيم –عرض ودراسة–).

–أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١) عناية العرب بأسلوب التضمين ، ونزول القرآن الكريم بهذا الأسلوب.
٢) أن التضمين أسلوب بديع يُخرّج عليه الكثير من الإشكالات التفسيرية.
٣) الكشف عن المعاني البديعة ، والأسرار البلاغية للنظم القرآني من خلال التضمين.
٤) تفاوت علماء التفسير في الأخذ بالتضمين والقول به.
٥) القيمة العلمية لكلام ابن القيم وعنايته بالوقوف على أسرار الآيات واستنباط الفوائد والأحكام منها.
٦) إبراز جهود ابن القيم في حل كثير من الإشكالات التفسيرية التي قد ترد من خلال حمل الآية على التضمين.

-الدراسات السابقة :

حفلت المكتبة القرآنية بالعديد من الدراسات التفسيرية عن ابن القيم وجهوده التفسيرية وآرائه واختياراته ، كما حفلت بكتب تتناول قضية التضمين في القرآن الكريم ، إلا أني بعد البحث والتنقيب لم أقف على دراسة جمعت موضوع التضمين عند ابن القيم ، ودرسته وعرضته على أقوال أهل التفسير.

خطة البحث

يتكون الموضوع من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهجه ، وأما التمهيد ففيه تعريف موجز بابن القيم وجهوده التفسيرية.

الفصل الأول التضمين عند النحاة وأثره في التفسير ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: تعريف التضمين والمراد به.

المبحث الثاني : أنواع التضمين في اللغة العربية وموقف النحاة منها ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : التضمين في الفعل وموقف النحاة منه.

المطلب الثاني : التضمين في الحرف وموقف النحاة منه.

المبحث الثالث: علاقة التضمين بالبلاغة.

المبحث الرابع : أثر التضمين في التفسير.

الفصل الثاني: التضمين عند ابن القيم وموقفه منه وأثر ذلك في التفسير -عرض ودراسة-.

الخاتمة وفيها ذكر أهم النتائج.

-منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي ، وفق الخطوات العلمية التالية:

١. عزو الآيات والأحاديث الشريفة من مظانها.

٢. تخريج الأحاديث المرفوعة حسب الطريقة المتبعة .

٣. خرجت الآثار من الكتب المسندة ، ومن غيرها إذا لم أجدها فيها ، وقد أذكر الحكم على بعضها عند الحاجة ، من غير توسع في ذلك .

٤. ترجمة للأعلام الواردين في البحث ترجمة مختصرة.

٥. توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصيلة ، وعزوها إليها بالطرق المتعارف عليها بين الباحثين .

ومن جانب كلام دراسة أقوال ابن القيم فقد سرت فيها حسب التالي :

١) استخراج كلام ابن القيم في التضمين من خلال كتبه ، وترتيب هذه الآيات حسب ترتيب سور القرآن الكريم.

٢) دراسة كل موضع من هذه المواضع بنقل كلام ابن القيم فيها ، والوقوف على كلام أهل التفسير ونقل أقوالهم ومعرفة الموافق والمخالف.

٣) بيان أثر القول بالتضمين ، والوجه البلاغي الذي يظهر من الآية.

التمهيد : وفيه تعريف موجز بابن القيم وجهوده التفسيرية.

أولا : اسمه ونسبه وولادته:

هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزّرعي ، الدمشقي منزلا ، السلفي معتقدا ، الحنبلي مذهبا ، ولد سنة : ٦٩١ هـ، وكان أبوه مشرفا على المدرسة الجوزية بدمشق فاشتهر بابن قيم الجوزية لهذا السبب ، وقد هيأ الله له أسباب العلم والتعلم ، حيث نشأ في بيت علم ودين ، وترعرع في أسرة فاضلة مباركة ، فقد كان والده رجلا صالحا ، وأخوه عالما فاضلا ، وكانت دمشق في ذلك الوقت حاضرة العلم والعلماء(١).

ثانيا : طلبه العلم ومكانته العلمية:

عرف ابن القيم –رحمه الله– بحرصه على العلم والأخذ عن العلماء ، فكان ذا ذهن وقاد ، وبصر نافذ ، حيث يُعدّ من المحققين المجتهدين اجتهادا مطلقا ، لما عنده من العلم الغزير والاطلاع الواسع ، واتباع الدليل والأخذ برأي السلف والإلمام بقواعد الشريعة وأصولها ، وكل هذه المكونات جعلت منه شخصية فذة موسوعية (٢).

ثالثا : أبرز شيوخه وتلامذته:

كان من أبرز من أخذ عنهم والده –رحمه الله– ، حيث أخذ عنه علم الفرائض ، كما لازم شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– منذ أن قدم من الديار المصرية سنة ٧١٢هـ إلى أن مات سنة ٧٢٨ هـ فأخذ عنه علما جما ، وانتفع به كثيرا ، وتأثر به وبمنهجه وعقيدته في وقت كانت دمشق تعصف فيها رياح المبتدعة ، وتنتشر فيها فوضى التفرق الدينية والخرافات والفرق الضالة.

وأما تلامذته فقد تتلمذ على يديه جماعة من العلماء من أشهرهم:

الحافظ ابن كثير المفسر المعروف–رحمه الله–(٣) ، وابن رجب الحنبلي–رحمه الله–(٤) ، صاحب التصانيف النافعة.

---

(١) انظر ترجمته : ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب ٣٦٣/١ ، المقصد الأرشد، ابن مفلح ٣٨٤/٢ ، البداية والنهاية، ابن كثير ٢٧٠/١٤ ، الوافي بالوفيات، الصفدي ١٩٥/٢ ، الدرر الكامنة، ابن حجر ١٣٧/٥ .

(٢) انظر : ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب ٣٦١/١ ، الوافي بالوفيات، الصفدي ١٩٣/٢.

(٣) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ، أخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وانتهت إليه رئاسة العلم ، توفي سنة : ٧٧٤هـ . انظر: طبقات المفسرين، الداودي ص٢٦٠ ، وشذرات الذهب، ابن العماد ٢٣١/٦.

(٤) هو أبو البركات عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، الحافظ المحدّث الفقيه ، توفي سنة : ٧٩٥ هـ . انظر : الدرر الكامنة، ابن حجر ٣ / ١٠٨ ، البدر الطالع، الشوكاني ١ / ٣١١

رابعا : وفاته :

توفي ليلة الثالث عشر من شهر رجب مضر سنة : ٧٥١ هـ وصلي عليه بالجامع الأموي ، فرحمه الله رحمة واسعه ورفع له درجته ، وغفر لنا وله[١].

-جهوده التفسيرية:

إن شخصية علمية مثل الإمام ابن القيم-رحمه الله- جدير بأن يكون لها حضور في علم التفسير ومشاركة فيه ، لا سيما وأن علم التفسير علم جمّاع للعلوم ، يجمع علوم الآلة كلها في العقيدة والحديث والفقه والنحو وغيرها من العلوم.

وقد كان لابن القيم النصيب الأعلى والحظ الأوفر من هذه الجهود ، إلا أنها كانت جهودا منثورة في كتبه الكثيرة ، ومصنفاته المتعددة .

فهو وإن لم يكن له كتاب في التفسير على عادة المفسرين إلا أن مؤلفاته ضمنها تفسيرا للآيات التي يقصد تقريرها ، وفهما لمعاني المفردات ، مع تأملات وتدبرات حول الآيات الكريمة.

يقول عنه الحافظ ابن كثير : "وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير"[٢]، وقال عنه ابن رجب : "وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه"[٣].

وقد جُمعت هذه المنثورات التفسيرية ، ولمُت هذه الجهود الكبيرة فخرجت في مصنفات مستقلة ، ومجلدات ضخمة ككتاب : (التفسير القيم لابن القيم) لمحمد بن أويس الندوي[٤] ، وكتاب : (بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية) ليسري السيد محمد[٥] ، وكتاب : (الضوء المنير على التفسير من كتب ابن قيم الجوزية) لعلي الحمد الصالحي[٦] ، وما زال الباحثون يستخرجون من هذه المصنفات وغيرها فصولا وأبوابا في علم التفسير وفي غيره[٧].

---

(١) انظر : البداية والنهاية، ابن كثير ٥٢٣/١٨ ، البدر الطالع، الشوكاني ٢ /١٤٣ ، كتاب ابن قيم الجوزية حياته وآثاره وموارده، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد.

(٢) انظر : البداية والنهاية، ابن كثير ١٨/ ٥٢٣.

(٣) انظر : ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب ٥/ ١٧١.

(٤) مطبوع في مجلد واحد في ستمائة صفحة وإحدى وخمسين ، طبعه دار الكتب العلمية.

(٥) مطبوع ، وهو يقع في ثلاث مجلدات ، طبعه دار ابن الجوزي.

(٦) مطبوع ، وهو يقع في ست مجلدات ، طبعه دار السلام.

(٧) مثل تفسير سورة الفاتحة أخذ من مقدمة كتابه:مدارج السالكين، وتفسير سورة المعوذتين من كتابه بدائع الفوائد.

وهذه الكتب ترجع أصولها إلى آيات يسوقها الإمام ابن القيم في كتبه ، فيفسرها ويستطرد الكلام فيها[١] ، وأما كتاباه : (بدائع الفوائد) و (الفوائد) ففيهما تفسير لآيات متفرقة ، سلك فيها منهج الاستطراد التناسبي فيفسر آية اقتضتها المناسبة في السياق.

وغير خاف أن ابن القيم اختط لنفسه منهجا في التفسير ، حيث كان يقوم منهجه على المنهج الصحيح في التفسير وذلك بالاعتماد على الأدلة من الكتاب والسنة ، والعناية بأقوال سلف الأمة ، كما أن ابن القيم يُعدّ صاحب قلم سيال من ثمَّ تميز تفسيره بالسعة والشمولية ، والإسهاب والإطالة ، كما كان له عناية بإبراز محاسن الشريعة ، وحكمة التشريع وغير ذلك من الخصائص والمميزات التي تميز بها من يطالع تفسيره[٢].

(١) انظر مثلا : تفسير آيات الصفات في كتابيه : (الصواعق المرسلة) و (اجتماع الجيوش الإسلامية) ، تفسير الآيات الواردة في نعيم الجنة في كتابه : (حادي الأرواح) ، تفسير آيات النفس والروح في كتابه : (الروح) ، تفسير آيات العلم والدعوة إلى التفكر في كتابه : (مفتاح دار السعادة) ، وللاستزاده يرجع إلى كتاب : ابن قيم الجوزية : حياته وآثاره وموارده، لدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد ص٢٣٣ .

(٢) انظر : ابن قيم الجوزية : حياته وآثاره وموارده، الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد ص٨٥-١٢٨ ، منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم، الدكتور صبري متولي ص١٢٥-١٤٧.

الفصل الأول التضمين عند النحاة وأثره في التفسير ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: تعريف التضمين والمراد به.

-معنى التضمين في اللغة:

يدور المعنى اللغوي لمادة : (ضَمِنَ) حول إيداع شيء في شيء ؛ سواء كان هذا الإيداع حقيقا أم مجازيا ، وتكاد تتفق المعاجم اللغوية على هذا المعنى ، كما تأتي بمعنى (الكفالة) وهي نيابة الشخص لآخر يقوم بعمله.

قال ابن دريد(١) : "كل شيء جعلته وعاء لشيء فقد ضمّنته إياه"(٢) ، وقال الأزهري : "كل شيء أحرز فيه شيء فقد ضمّنته إياه"(٣)، وقال ابن فارس : "الضاد والميم والنون أصل صحيح، وهو جعل الشيء في شيء يحويه ، من ذلك قولهم: ضمنت الشيء ، إذا جعلته في وعائه ، والكفالة تسمى ضمانا من هذا ؛ لأنه إذا ضمنه فقد استوعب ذمته"(٤).

-تعريف التضمين في الاصطلاح:

وأعني به في الاصطلاح النحوي ، وإلا فالتضمين مصطلح مشترك بين عدة فنون(٥).

قال الزركشي(٦) : " هو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف"(٧).

وقال الأشموني(٨) : "التضمين: إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه ؛ لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين"(٩).

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد ، حصل من النحو واللغة أوفر نصيب ، من مؤلفاته : الجمهرة والاشتقاق وغيرها ، توفي سنة : ٣٢٣هـ . انظر : البلغة، الفيروز آبادي ص٢٦٠، بغية الوعاة، السيوطي ٧٦/١.

(٢) جمهرة اللغة، ابن دريد ٩١١/٢ ، (باب الضاد والميم).

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري ٣٧/١٢ ، مادة (ضمن) ، وانظر : لسان العرب، ابن منظور ٢٥٨/١٣ مادة : (ضمن).

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٧٢/٣ ، مادة : (ضمن) ، وانظر : تاج العروس، الزبيدي ٣٥/٣٠.

(٥) يدخل مثلا في علم البلاغة فيسميه بعضهم بالاقتباس ، كما يدخل في علم العروض ويسمى بالتضمين العروضي أو بالتضمين المزدوج ولكل واحد من هذا أمثلته.

(٦) هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، العلامة المصنف المحرر ، انقطع للاشتغال بالعلم ، توفي سنة : ٧٩٤هـ .انظر : طبقات المفسرين، الداودي ص ١٥٧ ، شذرات الذهب، ابن العماد ٨ / ٥٧٢.

(٧) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٣٣٨/٣ ، وانظر : الإتقان، السيوطي ١٣٦/٣.

(٨) هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني الشافعي ، فقيه مقرئ ، له عدة مؤلفات منها : منار الهدى في بيان الوقف والابتداء ، كان حيًا في القرن الحادي عشر الهجري . انظر : معجم المؤلفين، عمر كحالة ٢ / ١٢١.

(٩) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني ٤٤٦/١.

وذكر الصبان[١] أن التضمين هو : " إلحاق مادة بأخرى في التعدي أو اللزوم لتناسب بينهما في المعنى أو اتحاد"[٢].

وجاء في تعريفه كذلك : " أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدّى فعل آخر أو في معناه ، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم" [٣].

-العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي :

يظهر جليا العلاقة الوثيقة بين المعنى اللغوي للتضمين ، والمعنى الاصطلاحي ، فهما يدلان على إيداع شيء مكان شيء يعطي حكمه ، ويؤدي عمله.

كما يظهر من التعريف الاصطلاحي ما يلي :

١) اختلاف حدود التضمين ، هل هو شامل لكل الألفاظ أم يقتصر على الفعل فقط ، وهذه مسألة سنناقش في المبحث الثاني.

٢) أن التضمين لا بد وأن يكون له قرينة وشروط ، وهذه الشروط هي : الأول : تحقق المناسبة بين الفعلين ، والثاني : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس ، والثالث : ملاءمة التضمين للذوق العربي[٤].

---

(١) هو أبو العرفان محمد بن علي الصبان ، عالم بالعربية والأدب ، من مؤلفاته : الكافية الشافية في علمي العروض والقافية ، توفي بمصر سنة : ١٢٠٦هـ . انظر : الأعلام، الزركلي ٢٩٧/٦.

(٢) حاشية الصبان، الصبان ١٣٨/١.

(٣) النحو الوافي، عباس حسن ١٦٩/٢.

(٤) النحو الوافي، عباس حسن ١٦٩/٢.

المبحث الثاني : أنواع التضمين في اللغة العربية وموقف النحاة منها ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : التضمين في الفعل وموقف النحاة منه.

توطئة :

حصرت بعض المدارس النحوية حدود التضمين في الفعل فقط ، لأن الفعل يدل على الحدث والزمان ، وهو مصدر التعبير في الكلام والمعبر عن الأفكار ، كما أنه يدل على معنى في نفسه ، وتنوع الدلالات وتعداد المعاني لا يكون إلا عن طريق الفعل(١).

المطلب الأول : التضمين في الفعل.

وقد انتصر لهذا المذهب جماعة من أهل العلم ، وأشادوا به ، ونوه بأهميته ، قال ابن جني(٢): " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه"(٣) ، وقال الزمخشري(٤): " من شأنهم أنهم يضمّنون الفعل معنى فعل آخر؛ فيجرونه مجراه ، ويستعملونه استعماله مع إرادة معنى المتضمن"(٥) ، وقال ابن العربي(٦) : "وكذلك عادة العربي أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال ؛ لما بينهما من الارتباط والاتصال "(٧)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(٨) : "والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه

(١) انظر : الكتاب، سيبويه ص١٢ ، الأصول في النحو، ابن السراج ٣٦/١.

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جني النحوي ، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، أخذ عن أبي علي الفارسي ، له سر الصناعة وغيره ، توفي سنة : ٣٩٢هـ. انظر : سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٧/١٧ ، بغية الوعاة، السيوطي ١٣٢/٢.

(٣) الخصائص، ابن جني ٣١٠/٣.

(٤) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي ، من أئمة المعتزلة يلقب بجار الله ، ولد بزمخشر (قرية بخوارزم) وجاور بمكة ، له مؤلفات منها : أساس البلاغة ، المفصّل في النحو ، توفي سنة : ٥٣٨ هـ.

انظر: طبقات المفسرين، السيوطي ص ١٢٠ ، طبقات المفسرين، الداودي ص ١٧٢.

(٥) لم أقف عليه في تفسيره، وانظر : فتوح الغيب، الطيبي ٨٥/٢ ، نواهد الأبكار، السيوطي ٢٨٩/١.

(٦) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأشبيلي ابن العربي الحافظ الفقيه الأصولي ، بلغ مرتبة الاجتهاد ، له عدة مؤلفات منها : أحكام القرآن ، شرح الموطأ ، توفي سنة : ٥٤٣ هـ . انظر : طبقات المفسرين، الأدنه وي ص ١٨٠.

(٧) أحكام القرآن، ابن العربي ٢٤٣/١.

(٨) هو أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الدمشقي الحنبلي ، شيخ الإسلام ، فريد العصر ، امتحن في الله عدة مرات لكنه صبر ، له مؤلفات سارت بها الركبان منها : السياسة الشرعية ، منهاج السنة ، الواسطة بين الحق والخلق ، الصارم المسلول ، توفي سنة : ٧٢٨ هـ.انظر :ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب ١ / ٣٢٨ ،البداية والنهاية، ابن كثير ١٨ / ٢٩٦ ،الدرر الكامنة، ابن حجر ١ / ١٦٨.

تعديته"[١] ، وقال ابن القيم عن التضمين في الفعل : " هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه[٢] وطريقة حذاق أصحابه ، يضمنون الفعل معنى الفعل ، لا يقيمون الحرف مقام الحرف ، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن"[٣] ، وقال ابن هشام[٤] : "قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضمينا ، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين"[٥] ، كما ذهب مجمع اللغة العربية هذا المذهب[٦].

وبهذا المنهج كانت المدرسة البصرية في النحو تختار التضمين في الفعل دون غيره ، وتسير على هذا المنهج ، وتخرج على هذا الطريقة.

قال ابن عصفور[٧] : " ويرون –أهل البصرة– أن التصرف في الأفعال بالتضمين أولى من التصرف في الحروف بجعل بعضها موضع بعض، لأن الحروف بابها أن لا يتصرف فيها"[٨] ، وقال المرادي[٩] : "ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول ، إما بتأويل يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف"[١٠] ، وقال ابن هشام : "على أن البصريين ومن تابعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه ، وأن العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف ؛ لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف"[١١] ، وقال الصبان : "اعلم

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٣/ ٣٤٨ .

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين ، وسيبويه لقب معناه رائحة التفاح ، توفي سنة : ١٨٠ هـ ، وقيل سنة : ١٨٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٠٣/٨ ، البلغة، الفيرزو آبادي ص٢٢١.

(٣) بدائع الفوائد، ابن القيم ٢٥٨/٢.

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد المعروف بابن هشام ، من أئمة العربية ، له مؤلفات منها : حاشية على ألفية ابن مالك في النحو ، عمدة الطالب في تحقيق تعريف ابن الحاجب ، توفي سنة : ٧٦١ هـ.
انظر : بغية الوعاة، السيوطي ٢ / ٦٨ ، البدر الطالع، الشوكاني ١ / ٣٨١ .

(٥) مغني اللبيب، ابن هشام ص٨٩٧.

(٦) انظر : مجلة مجمع اللغة العربية ، ١/١٨٠-١٨١.

(٧) هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي ، حامل لواء العربية بالأندلس ، توفي سنة : ٦٦٩ هـ .انظر : البلغة، الفيرزو آبادي ص٢١٨، بغية الوعاة، السيوطي ٢ /٣٨٠.

(٨) ضرائر الشعر، ابن عصفور ص٢٣٦.

(٩) هو الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي ، يعرف بابن أم قاسم وهي جدته أم أبيه ؛ واسمها زهراء ، له مؤلفات منها : شرح التسهيل ، شرح المفصل ، شرح الألفية ، توفي يوم عيد الفطر سنة : ٧٤٩ هـ .انظر : الدرر الكامنة، ابن حجر ٢ / ١٣٩ ،شذرات الذهب، ابن العماد ٦ / ١٥٩ ، بغية الوعاة، السيوطي ١ / ٥١٧.

(١٠) الجنى الداني، المرادي ص٤٦.

(١١) مغني اللبيب، ابن هشام ص٨٦١ ، وانظر : أوضح المسالك، ابن هشام ١٨/٣.

أن مذهب البصريين أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض قياسًا، كما لا تنوب حروف الجزم والنصب عن بعض، وما أوهم ذلك محمول على نحو تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف"[١].

وقد ذهب كثير من المفسرين في تفسيرهم إلى القول بتضمين الفعل ، قال أبو حيان[٢] : عند قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ البقرة: ٧٦: "والأجود أن يضمن خلا معنى فعل يعدى بإلى ، أي : انضوى إلى بعض أو استكان أو ما أشبهه ، لأن تضمين الأفعال أولى من تضمين الحروف"[٣] ، وقال الطاهر بن عاشور[٤] : "ومن بديع الإيجاز في القرآن وأكثره ما يسمى بالتضمين ، وهو يرجع إلى إيجاز الحذف ، والتضمين أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر"[٥] ، وقال الشنقيطي[٦] : "وتضمين الفعل معنى فعل معروف ، قال به عامة علماء النحو من البصريين"[٧].

ومن أمثلة التضمين في الفعل ما ذكره ابن جني عند قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ البقرة: ١٨٧ حيث قال : " وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة ، وإنما تقول: رفثت بها أو معها ، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء ؛ وكنت تعدي أفضيت بـــ(إلى) كقولك : أفضيت إلى المرأة ، جئت

(١) حاشية الصبان، الصبان ٣١٢/٢.

(٢) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي ، الإمام المفسّر ، نحوي عصره ، له مؤلفات منها : البحـــر المحيط ، تجريد أحكام سيبويه ، إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب ، توفي سنة : ٧٤٥هـــ.

انظر : طبقات الشافعية الكبرى، السبكي ٩ / ٢٧٥ ، وطبقات المفسرين، الأدنه وي ص ٢٧٨ .

(٣) البحر المحيط، أبو حيان ٤٤١/١ ، وانظر أيضا المواضع ٥٢٥/٢ ، ٦٧٤/٣ ، ٢٣٩/٦ ، الدر المصون، السمين ١٢١/٢ ، ٤٨٩/٢ ، ٥١١/٢.

(٤) هو أبو عبد الله محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عاشور ، عالم أديب ، تولى القضاء والفتيا بتونس ، له مؤلفات منها : مقاصد الشريعة الإسلامية ، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، توفي سنة : ١٣٩٣هـــ.

انظر : الأعلام، الزركلي ٦ / ١٧٥، معجم المؤلفين، عمر كحالة ٣ / ٣٦٣.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٢٣/١.

(٦) هو محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، عالم بالتفسير والفقه واللغة ، انتقل إلى المملكة العربية السعودية وعمل في التعليم ، له مؤلفات منها : أضواء البيان ، مذكرة أصول الفقه وغير ذلك ، توفي بمكة المكرمة سنة ١٣٩٣هـــــ.

انظر : مقدمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ص ١٩ ، الأعلام، الزركلي ١ / ١٠١ .

(٧) العذب النمير، الشنقيطي ١١٢/٣ ، وانظر : أضواء البيان، الشنقيطي ١٢٢/٤.

بـــ(إلى) مع الرفث إيذاناً وإشعارًا أنه بمعناه" [1] ، وقال الزمخشري عند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الكهف: ٢٨: " وإنما عدى بـــ(عن) لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك: نبت عنه عينه ، وعلت عنه عينه: إذا اقتحمته ولم تعلق به ، فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ وهلاّ قيل : ولا تعدهم عيناك ، أو لا تعل عيناك عنهم ؟ قلت : الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ "[2].

المطلب الثاني : التضمين في الحرف وموقف النحاة منه.

يعنى بالحرف هنا حرف الجر ، والمقصود أن حروف الجر تتناوب عن بعضها ، فجائز أن يقال مثلاً : في النخلة و على النخلة.

وقد أخذ بهذا المذهب مدرسة الكوفة ، لأن اللغة تتسع لمثل هذا ، وقد توسع الكوفيون في معاني حروف الجر توسعا كبيرا خلافا للبصريين ، ومن هنا قالوا بتناوب حروف الجر ، كما أنهم رجعوا في معاني حروف الجر إلى كلام العرب وتعبيراتهم ، فمثلا : حرف الجر (على) عند الكوفيين يفيد المصاحبة وعليه يُخرَّج قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ (البقرة: ١٧٧) أي : مع حبه ، وهكذا مع بقية الحروف ، وهذا المذهب كما قال ابن هشام : " أقل تعسفا" [3] ، وأسهل في إيضاح المعنى.

وقد اشترط علماء النحو لتضمين الحروف شروطا ، كأن يسوغ الكلام في الإنابة ، أو يتقارب المعنى بين الحرفين ؛ كما قال الفراء[4] : "وقوله : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ طه: ٧١ يصلح (على) في موضع (في) ، وإنما صلحت (في) لأنه يرفع في الخشبة في طولها ، فصلحت (في) وصلحت (على) لأنه يرفع فيها فيصير عليها"[5] ،

---

(١) الخصائص، ابن جني ٣/٣١٠ ، وانظر : المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ٩١ ، البحر المحيط، أبو حيان ١/ ٩٤.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٢/ ٧١٧ ، وانظر : التفسير الكبير، الرازي ٢١/ ٤٥٥ ، أنوار التنزيل، البيـــضاوي ٣/ ٢٧٩ ، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٥/ ٢١٩.

(٣) انظر : مدرسة الكوفة، المخزومي ص٢٨٢-٢٨٤.

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله المعروف بالفراء ، إمام العربية ، أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي ،توفي سنة : ٢٠٧هـــ .انظر : إنباه الرواة، القفطي ٤/٧.

(٥) معاني القرآن، الفراء ٢/ ١٨٦.

قال المبرّد[١] : "وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض ؛ إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع ، قال الله جل ذكره: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ طه: ٧١ أي : على ، ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت (في) لأنها للوعاء ، يقال : فلان في النخل ؛ أي قد أحاط به"[٢] ، وقال ابن السراج[٣] : " واعلم أن العرب تتسع فيها ، فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني ، فمن ذلك : الباء ، تقول : فلان بمكة وفي مكة ، وإنما جازا معًا لأنك إذا قلت : فلان بموضع كذا وكذا فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع ، وإذا قلت : في موضع كذا فقد خبرت بـــ (في) عن احتوائه إياه ، وإحاطته به "[٤]، وقال في موضع آخر : " فإذا تقارب الحرفان ؛ فإن هذا التقارب يصلح لمعاقبة ، وإذا تباين معناهما لم يجز ، ألا ترى أن رجلًا لو قال: مررت في زيد أو كتبت إلى القلم لم يكن هذا يلتبس به فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض ، فمتى لم يتقارب المعنى لم يجز"[٥] ، وقال ابن جني : " ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا–أي من تناوب الحروف– لكنا نقول : إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه ، والمسوغة له ؛ فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا "[٦].

وقد رُدّ هذا المذهب ونوقش ، وتكلم فيه بكلام طويل ، ليس هذا موضع ذكره[٧].

---

(١) هو أبو العباس محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري ، المعروف بالمبرَّد – بفتح الراء أو كسرها – ، إمام في النحو ، له مؤلفات منها : المقتضب ، والكامل، ومعاني القرآن ، توفي سنة : ٢٨٦ هـ .
انظر : طبقات النحويين واللغويين، الأشبيلي ص١٠١، سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٣ / ٥٧٦.

(٢) الكامل، المبرد ٧٣/٣.

(٣) هو أبو بكر محمد بن السري بن السراج ، أخذ عن المبرد، وهو من أكابر أصحابه، توفي سنة : ٣١٦.
انظر : سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤٨٣/١٤ ، البلغة، الفيروز آبادي ص٢٦٥.

(٤) الأصول في النحو، ابن السراج ٤١٤/١.

(٥) الأصول في النحو، ابن السراج و ١/ ٤١٥.

(٦) الخصائص، ابن جني ٣/ ٣١٠ ، وانظر : النحو الوافي، عباس حسن ٢/ ٥٣٧.

(٧) انظر : التضمين النحوي في القرآن، محمد نديم ١١٣/١ –١٨٥.

المبحث الثالث: علاقة التضمين بالبلاغة

يرتبط التضمين بالبلاغة ارتباطا وثيقا ، وأخص ما يرتبط به التضمين هو الإيجاز ، لأن من عادة العرب عدم الإطالة والإسهاب في الكلام ، وكانت البلاغة عندهم تتمثل في قلة الألفاظ مع تأدية المعنى ، وأما كثرة الألفاظ والإطالة فهي عندهم عي وحصر ، قال أبو عبيدة[١] : " العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه"[٢] .

ولما سأل معاوية رجلا بليغا : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال: الإيجاز ، فقال معاوية: وما الإيجاز؟ قال : أن تجيب فلا تبطيء ، وتقول فلا تخطيء [٣] .

ومن هنا تبينت منزلة الإيجاز في لغة العرب ، وحرصهم على هذا الأسلوب البلاغي.

والمراد بالإيجاز : بناية الكلام على ألفاظ قليلة تؤدي المعنى من غير زيادة ، يقال: أوجز الرجل في كلامه إذا اختصره [٤].

ولما كان التضمين بابًا من أبواب البلاغة ، ومن أهم خصائص الأساليب القرآنية ، حيث تدل العبارات القليلة عن المعاني الكثيرة ، صار نوعًا من أنواع الإيجاز.

وقد عدّ الباقلاني التضمين من جملة الإيجاز ، بقوله : "والتضمين كله إيجاز"[٥]، كما قسم التضمين إلى قسمين :

الأول : تضمين توجبه البنية ، كقولنا : معلوم ، يوجب أنه لا بد من عالم.

الثاني : تضمين يوجبه معنى العبارة ، من حيث لا يصح إلا به ، كالصفة بضارب على مضروب[٦].

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، النحوي اللغوي ، توفي سنة : ٢٠٨ .
انظر : البلغة، الفيروز آبادي ص٢٩٥، طبقات المفسرين، الأدنه وي ص٣٠.

(٢) مجاز القرآن، أبو عبيدة ص ١١١.

(٣) انظر : البيان والتبيين، الجاحظ ٩٨/١.

(٤) انظر : الصناعتين، العسكري ص١٧٣ ، مفتاح العلوم، السكاكي ص٢٧٧ ، المثل السائر، ابن الأثير ٦٨/٢ ، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني ١٧١/٢.

(٥) إعجاز القرآن، الباقلاني ص٢٧٣.

(٦) المرجع السابق.

ويعنى بالتضمين في هذا المقام ؛ التضمين الذي هو من باب البديع لا التضمين اللغوي الذي سبق التعريف به ، وقد عرفه الباقلاني بقوله: "حصول معنى فيه من غير ذكره له ، باسم أو صفة هي عبارة عنه"(١).

ويمكن أن يقال : إن بين التضمين والإيجاز عمومًا وخصوصًا ، فكل تضمين إيجاز ؛ لقلة الألفاظ ، وليس كل إيجاز تضميناً ، لأن التضمين يجعل الجملة الواحدة تؤدي معنى جملتين ، بعكس الإيجاز ، وغير خاف أن المراد بهذا الوصف التضمين اللغوي.

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني ص٢٧٢.

المبحث الرابع : أثر التضمين في التفسير.

التضمين ظاهرة من ظواهر اللغة العربية ، وأسلوب بديع من أساليبها ، عنيت به العرب وخرجت به كثيرًا من أشعارها ، والقرآن الكريم نزل بهذا الأسلوب البياني ، فكان في إيداع الفعل معنى الفعل وقوفا على جملة من الأسرار واللطائف ، ولا تكاد تظهر هذه الأسرار واللطائف إلا عند القائلين بتضمين الفعل ؛ إذ إن الألفاظ قوالب المعنى ، والقصد الأسمى من اللغة هو التعبير عن هذه المعاني بأبهى حلة ، وأفضل عبارة.

وقد كان العرب يضمنون الفعل معنى الفعل للوصول لهذه الغاية السامية ؛ لأن المعنى هو اللب والأساس والمقصود ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " العرب تضمن الفعل معنى الفعل ، وتعديه تعديته ، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض ؛ كما يقولون في قوله : ﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ ﴾ ص: ٢٤ أي : مع نعاجه ، و﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ الصف: ١٤ أي : مع الله ، ونحو ذلك ، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين ، فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه"(١).

بل إن من العلماء من وصف القائلين بتضمين الحرف بالجهل ؛ لا لشيء إلا لأنهم لم يأتوا من المعاني بجديد ، ولم يظهروا جمال النظم القرآني وأسراره ؛ قال ابن العربي : " وكذلك عادة العرب أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال ؛ لما بينهما من الارتباط والاتصال ، وجهلت النحوية هذا فقال كثير منهم : إن حروف الجر يبدل بعضها من بعض ، ويحمل بعضها معاني البعض ، فخفي عليهم وضع فعل مكان فعل ، وهو أوسع وأقيس ، ولجأوا بجهلهم إلى الحروف التي يضيق فيها نطاق الكلام والاحتمال!"(٢).

ويظهر بهذا أن للتضمين أثرًا كبيرا على علم التفسير يظهر من خلال النقاط التالية:

١) تكثير المعاني التفسيرية ، والتوسع في دلالة المفردة القرآنية ، فالكلمة الواحدة تؤدي مؤدى كلمتين ، والجملة عن جملتين في المعنى ، وبهذا تزداد المعاني

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٣/ ٣٤٢.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي ص ٢٤٣.

اللغوية ، وتنكشف الوجوه البلاغية بأحسن صورة ، وأجمل أسلوب ، وأخصر طريقة ، وهذا الغرض الأساس من التضمين كما قال الكفوي[١] : "وفائدة التضمين هي أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ، فالكلمتان معقودتان معا قصدا وتبعا"[٢].

٢) مع كثرة تلك المعاني ؛ إلا أن مؤدّى ذلك يكون من خلال الإيجاز ، بأقل الألفاظ ، مع تأدية المعنى المناسب والوفاء به ، وما البلاغة العربية إلا في الإيجاز ، والتضمين القرآني يوقف على المعاني بأقصر الطرق وأوجزها ، بدون إطناب أو إطالة ، فهو غرض بلاغي لطيف ، يجمع بين معنيين بأخصر أسلوب ، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر ، فيُكسب معنيين : معنى الفعل الأول ، ومعنى الفعل الثاني[٣].

٣) ظهور وجه من أوجه الإعجاز القرآني في اختيار الألفاظ ، وانتقاء المفردات ، بكلمات مقصودة ، ومعاني متعددة ، ولولا التضمين لم يظهر هذا[٤] ، ورحم الله ابن عطية[٥] لما قال : "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ؛ ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[٦].

٤) دفع ما قد يتوهم في فهم الآية ، وذلك بالكشف عن المعاني الدقيقة ، والألفاظ المستترة داخل التضمين ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ النساء: ٢حيث عدي فعل الأكل بحرف الجر (إلى) ، والأصل تعديته بـــ (مع) ، فذهب جمع من المفسرين إلى التناوب وأن إلى بمعنى مع[٧] ، ويكون المعنى : ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم ، وذهب جماعة من المفسرين

---

(١) هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، من قضاة الأحناف بتركيا ، ولي القضاء في بغداد والقدس ، له كتـــب بالتركية،وفاته سنة: ١٠٤٩ هـــ .انظر :الأعلام، الزركلي ٢/ ٣٨ ، معجم المؤلفين، عمر كحالة ٣/ ٣١.

(٢) الكليات ص٢٦٧.

(٣) انظر : معاني النحو، ابن السراج ١٤/٣.

(٤) انظر : التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١/ ١١٣.

(٥) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي ، فقيه عالم بالتفسير والحديث والنحو ، توفي سنة ٤٥١هـــ. انظر: طبقات المفسرين، السيوطي ص ٥٠ .

(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٥٢/١ ، وانظر : الكشاف، الزمخشري ٤٦٥/١ ، التفسير الكبير، الرازي ٤٨٤/٩ ، البحر المحيط، أبو حيان ٥٠٢/٣.

(٧) انظر : النكت والعيون، الماوردي ٤٤٨/١ ، معالم التنزيل، البغوي ٦٧/١.

إلى القول بالتضمين ، حيث ضُمن الأكل معنى الضم والجمع ، قال ابن عطية : "وقالت طائفة من المتأخرين (إلى) بمعنى (مع) وهذا غير جيد ، وروي عن مجاهد أن معنى الآية : ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم ، قال القاضي أبو محمد : وهذا تقريب للمعنى ، لا أنه أراد أن الحرف بمعنى الآخر، وقال الحذاق: (إلى) هي على بابها ، وهي تتضمن الإضافة ، التقدير: (لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم في الأكل) "[1] ، ومثله قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٦ ، والأصل أن فعل الإيلاء يعدى بـــ (على) تقول : حلفت على كذا ، ولا تقول : حلفت من كذا ، لكن لما عدي بـــ (على) أفاد معنى البعد ؛ قال الزمخشري : "فإن قلت: كيف عدى بـــ(من) وهو معدى بـــ(على) ؟ قلت : قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد ، فكأنه قيل : يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين "[2] ، والأمثلة في هذا كثيرة ، ونستطيع القول بأن التضمين يحل لنا إشكالات كثيرة ، فهو بحق ملجأ لحل الكثير من الإشكالات والعقبات التي تواجه في النظم القرآني.

٥) يساعد التضمين على إعمال المفسر ذهنه وجهده في تقدير الفعل المناسب للآية والسياق ، على وجه يظهر به جمال النظم القرآني ، ووجه البلاغة المشرق ، وهذا هو الاجتهاد في علم التفسير ، والتضمين مجال رحب لتطبيق مثل هذا.

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٦/٢.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٢٦٩/١ ، وانظر : روح المعاني، الآلوسي ١٢٩/٢ ، التحرير والتنوير، الطـــاهر بـــن عاشـــور ٣٨٥/٢ ، وقد ذكر الإشكال المتعلق بفهم الآية ابن هشام في مغني اللبيب ص٨٩٩.

الفصل الثاني: التضمين عند ابن القيم وموقفه منه وأثر ذلك في التفسير –عرض ودراسة–

–تمهيد:

كان ابن القيم من العلماء الذين امتدحوا رأي المدرسة البصرية في تضمين الفعل ، كون هذا الاتجاه يثري المعاني التفسيرية ، ويتوسع في معاني المفردات القرآنية ، ناهيك أنه يكشف وجها لطيفا ، وسرا بديعا في الآية الكريمة ، حيث قال : " وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر ؛ وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة ، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره ، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيشربون الفعل المتعدى به معناه ؛ هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه ، وطريقة حذاق أصحابه ؛ يضمنون الفعل معنى الفعل ، لا يقيمون الحرف مقام الحرف ؛ وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن "[1] ، وسنرى في الأمثلة التي تذكر في هذا الفصل مدى التزام الإمام ابن القيم بهذا النهج من عدمه.

–الموضع الأول قوله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ الفاتحة: ٦ قال ابن القيم : "تعدية الفعل هنا بنفسه دون حرف (إلى) فجوابها أن فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة وبحرف (إلى) تارة ، وباللام تارة ، والثلاثة في القرآن[2] ..؛ متى عدي بـــ (إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة ، فأتى بحرف الغاية ، ومتى عدي باللام ؛ تضمن التخصيص بالشيء المطلوب فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين.. ، وإذا تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله ، وهو التعرف والبيان والإلهام "[3].

فسر ابن القيم الآية بالتضمين في الفعل ، وهو بهذا موافق للمدرسة البصرية التي تنحو هذا الاتجاه ، وقد فسر المفسرون هذه الآية على وجهين يكملان بعضهما بعضا :

---

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم ٢/ ٢٥٨.

(٢) عدي فعل الهداية بنفسه في قوله تعالى : ﴿ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ ﴾ الفتح: ٢، وعدي بـــ (إلى) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ ﴾ الشورى: ٥٢ ، وعدي باللام في قوله تعـــالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ الأعراف: ٤٣ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ الإسراء: ٩.

(٣) بدائع الفوائد، ابن القيم ٢/ ٢٥٨– ٢٥٩.

الأول : أن الهداية هنا بمعنى الدعاء للثبات على الصراط ، ولا فرق بين التعدية بين الهدايات وإن كانت تختلف معانيها تبعا لسياق الآيات.

قال ابن جرير[١] : " والعرب تقول : هديت فلانا الطريق ، وهديته للطريق ، وهديته إلى الطريق ؛ إذا أرشدته إليه وسددته له ، وبكل ذلك جاء القرآن "[٢].

الآخر : أنه لما تعدى فعل (الهداية) بنفسه كان شاملا لكل أنواع الهدايات ، التوفيق والإرشاد ، والإلهام والدلالة [٣].

وبتعدية فعل الهداية بنفسه يتبين أن الهداية تنقسم إلى قسمين :

الأول: هداية التوفيق والإلهام ، وهي متعلقة بالله تعالى ، والآخر: هداية الدلالة والإرشاد وهي متيسرة لكل داع إلى الله ، وأعظم الهدايتين الأولى[٤] ، حيث يجعل الله في قلب العبد قبولا للحق ، وانقيادا له وطاعة ، والعبد مفتقر إليها في كل وقت وحين ، ولما كانت سورة الفاتحة هي السورة الجامعة لكل المعاني ، وأم الكتاب التي يرجع لها كل أصول القرآن الكريم ، وهي تكرر في كل صلاة ، وتتثنى في كل ركعة ، ناسب أن يكون فعل الهداية متعد بنفسه ليدل على كل أنواع الهدايات ، ويختصر كل هذه الألفاظ بهذا التضمين ، فكانت الهداية هنا شاملة وكاملة لأنواع الهدايات كلها هداية التوفيق وهداية الدلالة والإرشاد.

الموضع الثاني قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ البقرة: ٢٢٦ .

قال ابن القيم : "الإيلاء لغة : الامتناع باليمين ، وخص في عرف الشرع بالامتناع باليمين من وطء الزوجة ، ولهذا عدي فعله بأداة (من) تضمينا له معنى : (يمتنعون من نسائهم) ، وهو أحسن من إقامة (من) مقام (على)" [٥].

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، إمام المفسرين بلا منازع ، ومن مجتهدي عصره ، له مؤلفات منها : جامع البيان ، أخبار الرسل والملوك ، وغيرها ، توفي سنة ٣١٠هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ١٤/ ٢٦٧ ، طبقات المفسرين، الأدنه وي ص ٣٧ .

(٢) جامع البيان، الطبري ١٦٨/١ ، وانظر : معاني القرآن، الزجاج ٤٩/١ ، المحرر الوجيز، ابن عطية ٧٣/١.

(٣) انظر : الكشاف، الزمخشري ١٥/١ ، البحر المحيط، أبو حيان ٦/١ ، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٨٧/١.

(٤) انظر : القول المفيد، ابن عثيمين ١٣٨/١ ، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ ص٢٢٩.

(٥) زاد المعاد، ابن القيم ٣١١/٥.

ذهب ابن القيم في هذا التفسير مذهب المدرسة البصرية في تضمين الفعل : (الإيلاء) معنى الامتناع ، لكنه لم يعبر بالامتناع لوجود معنى الحلف من الزوج.

وقد اتجهت أنظار المفسرين إلى هذه الآية إلى اتجاهين :

الأول : أن (من) بمعنى (على) أو بمعنى (في) ؛ ويكون التقدير : على وطء نسائهم ، فحذف الوطء ، وأقام النساء مقامه[١] ، لأن معنى الإيلاء أن يحلف الزوج أن لا يجامع زوجته مدة محددة لا تزيد عن أربعة أشهر[٢].

الآخر : على التضمين ، حيث ضمن الإيلاء معنى البعد ، لأن أصل الكلام : للذين يؤلون على نسائهم ، والإيلاء أصله الحلف ، لكن لما تعدى الفعل بـــ (من) أفاد معنى : (الامتناع والبعد) عن معاشرة الزوجة فكانت دلالة مجازية ؛ فاجتمعت دلالتان حقيقة ومجازية[٣]. .

قال الزمخشري : "فإن قلت : كيف عدى بـــ (من) وهو معدى بـــ (على) ؟ قلت : قد ضمن في هذا القَسَم المخصوص معنى البعد ، فكأنه قيل : يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين"[٤].

ويظهر بهذا أن التضمين قد أضاف معنى جديدا للمعنى الأول ، وأجاب عن سر التعدية بحرف الجر (من) ، ولولا التضمين لم تظهر على المسحة البيانية في الآية الكريمة.

الموضع الثالث قوله تعالى : ﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ المائدة: ٢٦

قال ابن القيم : " وكذلك قوله : ﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ يعني : على الأرض" [٥].

ذكر ابن القيم هذا التفسير في تضاعيف كلامه لإثبات استواء الله على عرشه ، ورده على الملاحدة والمعطلة الذين ينفون الاستواء أو يحرفونه عن معناه الصحيح.

ويظهر من هذا التفسير أن ابن القيم اختار التناوب بين حرفي الجر : (في) و (على) ، كما في مذهب مدرسة الكوفة.

---

(١) انظر : الهداية، مكي بن طالب ٧٥٧/١ ، زاد المسير، ابن الجوزي ١٩٦/١ ، روح المعاني، الآلوسي ١٢٩/٢.

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٦٠٤.

(٣) انظر : مغني اللبيب، ابن هشام ص٨٩٩ ، النحو الوافي، حسن عباس ٥٦٧/٢.

(٤)الكشاف، الزمخشري٢٦٨/١ ، وانظر : البحر المحيط، أبو حيان ٤٤٧/٢ ، الدر المصون، السمين ٤٣٣/٢ ، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٢٤/١.

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم ٢/ ٢٧٣.

ولم أقف على من قال بهذا من المفسرين إلا عند ابن القيم ، وهو بهذا موافق لشيخه ابن تيمية حيث قال : " ﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني على الأرض ؛ لا يريد الدخول في جوفها" [(١)]، والمذكور عن أهل التفسير أن الله تعالى حكم على بني إسرائيل أنهم يتيهون هذه المدة في الأرض ، يسيرون في طرقها ، ولا يعرفون الخروج منها ، ولا يهتدون إلى ذلك سبيلا[(٢)].

والذي يظهر أن ما اختاره ابن القيم بعيد عن معنى الآية ، ولا يدل عليه شيء ، وخصوصا أن مسألة تناوب حروف الجر مشروطة بتقارب المعنيين ، لأن اللجوء إلى التناوب لا يكون إلا في أضيق الحالات ؛كما قال المرادي : " ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول ، إما بتأويل يقبله اللفظ أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ"[(٣)].

وفي الآية جاء التعبير بالحرف (في) ليدل على الظرفية المكانية [(٤)] وأن التيه تمكن منهم تمكنا ؛ بحيث أنهم ضلوا فيه ضلالا شديدا وغابت عنهم أسباب الهداية لشدة معصيتهم وعظيم جرمهم[(٥)].

وسيأتي مزيد بيان في إنابة حرف الجر (في) عن (على) عند قوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ طه: ٧١.

الموضع الرابع قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المائدة: ٥٤

قال ابن القيم : " لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات ؛ عداه بأداة (على) تضمينا لمعاني هذه الأفعال ؛ فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل ، وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول"[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٢/ ٦٨.

(٢) انظر : بحر العلوم، السمرقندي ٤٠٧/١ ، الكشاف، الزمخشري ٢/ ٦٢٢ ، المحرر الوجيز، ابن عطية ١٧٦/٢.

(٣) الجنى الداني، المرادي ص ٤٦ ، وانظر : مغني اللبيب، ابن هشام ص ٨٦١ .

(٤) انظر معاني حرف الجر (في) : حروف المعاني، الزجاجي ص١٢ ، مغني اللبيب، ابن هشام ص٢٢٣.

(٥) انظر : روح المعاني، الآلوسي ١٠٩/٦.

(٦) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/ ٣١٠.

ذهب ابن القيم في هذا التفسير إلى تضمين الفعل : (أذلة) معنى الرحمة والعطف ، وهو بهذا ينتهج منهج المدرسة البصرية في تضمين الفعل.

ولم يختلف أهل التفسير أن المراد بـــ (الذل) في الآية ذل التواضع والرقة والرحمة[١] ، إلا أن بعض المفسرين بحث في سر تعدية الفعل (أذلة) بـــ (على) ، لأن أصل الكلام أن يقال : (أذلة للمؤمنين) ويستقيم الكلام بذلك ، لكنه لما عدي بـــ (على) أفاد معنين : الأول : الرحمة والعطف والحنو ، والآخر : وصف المؤمنين بالتواضع الجم لإخوانهم ، فمع شرفهم وعلو منزلتهم إلا أنهم خافضون أجنحتهم لإخوانهم.

قال الزمخشري : " فإن قلت : هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف ،كأنه قيل : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ، والثاني : أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم"[٢].

فلما كانت محبة الله تعالى للعبد منزلة عالية ، ورتبة غالية ، لا يصل إليها إلا من وفقه الله ، وكانت بهذا القدر ؛ ناسب أن يذكر أهم صفات هؤلاء المحبوبين وهي رحمتهم وعطفهم لإخوانهم ، مع لين جانبهم وتواضعهم ، وهذا ما أفاده التضمين في قوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال ابن كثير : "هذه صفات المؤمنين الكُمّل ؛ أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه ، متعززا على خصمه وعدوه "[٣].

الموضع الخامس : قوله تعالى :﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ التوبة: ٤٧

قال ابن القيم : "تضمّن سماعين معنى مستجيبين"[٤] ، وقال في موضع آخر عن هذه الآية : "وإذا عرف هذا ؛ فسمع الإدراك يتعدى بنفسه ، وسمع القبول يتعدى باللام تارة وبـــ (من) أخرى ، وهذا بحسب المعنى ، فإذا كان السياق يقتضي القبول عدي بـــ

(١) انظر : معالم التنزيل، البغوي ٧٢/٣ ، المحرر الوجيز، ابن عطية ٢٠٨/٢ ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٣٦/٣ ، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٣٥.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٦٤٨/١ ، وانظر : التفسير الكبير، الزاري ٣٨١/١٢ ، أنوار التنزيل، البيضاوي ١٣٢/٢ ، البحر المحيط، أبو حيان ٢٩٨/٤ ، الدر المصون، السمين ٣٠٩/٤ ، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٣٧/٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ١٣٦ ، وانظر :المحرر الوجيز، الطاهر بن عاشور ٢٠٨/٢.

(٤) شفاء العليل، ابن القيم ص١٠٢.

(من) ، وإذا كان يقتضي الانقياد عدي بـــ (اللام) ، وأما سمع الإجابة فيتعدى باللام نحو : سمع الله لمن حمده ؛ لتضمنه معنى : استجاب له "[١].

ذكر المفسرون معنيين في هذه الآية:

الأول : أن من المنافقين من ينقل أخبار المؤمنين ، فهم جواسيس وعيون[٢].

الآخر : أن من المؤمنين من يسمع كلام المنافقين ويطيع أمرهم ؛ وهذا ما دلت عليه المبالغة في قوله تعالى : ﴿ سَمَّٰعُونَ ﴾[٣].

وقد ذهب ابن القيم في هذه الآية مذهب جمهور المفسرين[٤] ، وذلك بتضمين سماعون لمعنى مستجيبين ، والمفسرون وإن لم يذكروا أن هذه الآية تضمين إلا أنهم ذكروا هذا المعنى أو قريبا منه.

وقد ذكر ابن القيم أن السمع إذا تعدى باللام –كما في هذه الآية– فهي دلالة على الانقياد والطاعة.

والاتيان بحرف الجر : (في) الدال على الظرفية مع التضمين في : ﴿ سَمَّٰعُونَ ﴾ دل على أمر عظيم وخطير دائما ما يقوم به أهل النفاق ؛ وهو اختراقهم لصفوف المؤمنين كأنهم جزء منه ، لغرض بث الأراجيف والكذب بين المؤمنين وإضعافهم[٥].

وعليه فقوله تعالى : ﴿ سَمَّٰعُونَ ﴾ مضمّن معنى : " مستجيبين" ولذا عدّي باللام.

الموضع السادس قوله تعالى : ﴿ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ هود: ٢٣

قال ابن القيم : " قيل : ضُمن معنى أنابوا واطمأنوا وتابوا "[٦].

ناقش ابن القيم في هذه الآية معنى الإخبات ، وقد نُقل عن السلف وعلماء اللغة بيان هذا المعنى ، وأصل المسألة هو الفرق بين قول : (أخبت إلى كذا) ، و(أخبت لكذا) ، حيث يرى ابن القيم أن هناك فرقا بين الجملتين ، خلافا للفراء الذي يجعل المعنيين واحدًا ، حيث قال : " معناه : تخشعوا لربهم وإلى ربهم ، وربما جعلت العرب (إلى) في موضع

---

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم ٧٦/٢.

(٢) انظر : جامع البيان، الطبري ٢٨٢/١٤ ، بحر العلوم، السمرقندي ٦٣/٢ ، معالم التنزيل، البغوي ٥٦/٤.

(٣) انظر : مجاز القرآن، أبو عبيدة ص٢٦١ ، معاني القرآن، الزجاج ٤٥١/٢ ، الكشاف، الزمخشري ٢٧٧/٢.

(٤) نسبه للجمهور ابن عطية في تفسيره ٤١/٢ ، وأبي حيان في تفسيره ٤٣٠/٥.

(٥) انظر : التحرير والتنوير ٢١٨/١٠.

(٦) شفاء العليل، ابن القيم ص ١٠٦.

اللام "[١] ، وابن جرير الطبري حيث قال : " معناه : وأخبتوا لربهم ، وذلك أن العرب تضع اللام موضع إلى ، وإلى موضع اللام كثيرا "[٢] ، ولا غرو في كلام الفراء فهو من رواد المدرسة الكوفية التي تقول بتناوب حروف الجر[٣].

والأظهر هو القول بالتضمين ، لأن تعدية الفعل بهذا الحرف له سر ، ويكشف عنه القول بالتضمين ، قال الرازي : " ولفظ الإخبات يتعدى بـــ (إلى) وباللام ، فإذا قلنا : أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن إليه ، وإذا قلنا أخبت له فمعناه خشع له "[٤].

ولما كان أصل الإخبات النزول إلى المطمئن من الأرض ناسب أن يعدى بحرف (إلى) ليدل على هذا المعنى[٥].

الموضع السابع قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحج: ٢٥قال ابن القيم : " وفعل الإرادة لا يتعدى بالباء ، ولكن ضمن معنى : (يهم فيه بكذا) ، وهو أبلغ من الإرادة ،فكان في ذكر الباء إشارة إلى استحقاق العذاب عند الإرادة وإن لم تكن جازمة"[٦].

ذهب ابن القيم في هذه الآية إلى القول بتضمين فعل : (يُرد) معنى (يَهُم).

وقد اختلف أهل التفسير في هذه الآية على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الباء زائدة لإفادة معنى التوكيد[٧].

القول الثاني : أنهما حالين مترادفين ، ومفعول (يرد) متروكاً ليتناول كل متناول[٨].

القول الثالث : تضمين الفعل (يرد) معنى آخر حتى تصح التعدية بالباء [٩].

فقال بعضهم : نضمنه معنى (يهم) [١٠] ، وقال بعضهم : نضمنه معنى (يتلبس) [١١].

---

(١) معاني القرآن، الفراء ٢/ ١٠.

(٢) جامع البيان، الطبري ١٥/ ٢٩١.

(٣) انظر : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة، المخزومي ص ١١٩.

(٤) التفسير الكبير، الرازي ١٣/ ٣٣٥ ، وانظر : لسان العرب، ابن منظور ٢/ ٢٧ مادة : (خبت).

(٥) انظر : تهذيب اللغة، الأزهري ٧/ ١٣٦ ، مفردات ألفاظ القرآن، الراغب ص ٢٧٢ ، مادة : (خبت).

(٦) بدائع الفوائد، ابن القيم ٢/ ٢١.

(٧) انظر : مجاز القرآن، أبو عبيدة ٤٨/٢ ، جامع البيان، الطبري ٥٩٨/١٨ ، المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٦/٤.

(٨) انظر : الكشاف، الزمخشري ١٥١/٣ ، أنوار التنزيل، البيضاوي ٦٩/٤ ، روح المعاني، الآلوسي ١٤٠/١٧.

(٩) انظر : البحر المحيط، أبو حيان ٥٠٠/٧ ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤١١/٥.

(١٠) انظر : تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤١١/٥.

(١١) انظر : البحر المحيط، أبو حيان ٥٠٠/٧.

ولا شك أن الحمل على التضمين أولى من القولين الأولين ، ذلك أنه يحفظ للحرم قدسيته ، ويزيد في المعنى المراد بأجمل لفظ وأسهل أسلوب وأوجز عبارة قال ابن العربي : " وهذا مما لا يحتاج إليه في سبيل العربية ؛ لأن حمل المعنى على الفعل أولى من حمله على الحرف"(١).

وما اختاراه ابن القيم من تضمين الفعل (يرد) معنى (يهم) هو الأولى بدلالة قول ابن مسعود : " لو أن رجلا أراد فيه بإلحاد بظلم وهو بعدن أبين ، أذاقه الله من العذاب الأليم"(٢) ، وهذا الإسناد صحيح على شرط البخاري(٣).

الموضع الثامن قوله تعالى : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ طه: ٧

قال ابن القيم : " أي : يريد عليها "(٤).

هذا التفسير ساقه ابن القيم في إثبات علو الله تعالى على خلقه ، والرد على من أنكره أو ألحد في معناه.

وقد ذهب ابن القيم في هذه الآية إلى القول بتناوب حروف الجر كما هو في مذهب المدرسة الكوفية ، وقد وافق في هذا التفسير جملة من المفسرين المتقدمين (٥).

قال أبو عبيدة : " ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ أي : على جذوع النخل "(٦) ، وقال الفراء : "يصلح (على) في موضع (في) ، وإنما صلحت (في) لأنه يرفع في الخشبة في طولها ، فصلحت (في) وصلحت (على) لأنه يرفع فيها فيصير عليها "(٧)، وقال الأخفش(٨) :

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ٣/ ٢٧٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٨٣/٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠/ ٤٣٨ وزاد في نسبته لابن جرير وابن المنذر.

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤١١/٥.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن القيم ص ١٨٨.

(٥) انظر : معاني القرآن، الزجاج ٣٦٨/٣ ، جامع البيان، الطبري ٣٠٤/٧ ، معالم التنزيل، البغوي ٥/ ٢٨٤.

(٦) مجاز القرآن، أبو عبيدة ص٢٣ .

(٧) معاني القرآن، الفراء ١٨٦/٢ .

(٨) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش الأوسط ، كان أجلعًا لا تنطبق شفتاه على أسنانه ، قرأ النحو على سيبويه وكان أسن منه وهو أفضل تلاميذه ، توفي سنة : ٢١١ هـ . انظر : معجم الأدباء، الحموي ٤ / ١٢٦ ، بغية الوعاة، السيوطي ١ / ٥٩٠.

وكما كانت (في) في معنى : (على) نحو : ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ يقول : على جذوع النخل"[١].

وهذا التفسير –كما يظهر – يجمع بين السهولة والوضوح ، لأن القول بتناوب حروف الجر من أسهل التخريجات التفسيرية ؛ كما قال ابن هشام في تضاعيف كلامه عن مسألة تناوب حروف الجر : " وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين ، ولا يجعلون ذلك شاذا ، ومذهبهم أقل تعسفا" [٢]، ويلاحظ هنا أن الأخفش وهو من رواد المدرسة البصرية قد أخذ بهذا الرأي أيضا[٣] ، وقد رد هذا القول ابن عطية في تفسيره حيث قال : "اتساع من حيث هو مربوط في الجذع ، وليست على حد قولك : ركبت على الفرس"[٤].

والقول بالتضمين يكشف عن معنى بديع ، وسر لطيف وذلك بتعدية فعل : (الصلب) بـــ (في) دون (على) ، وهو ظهور معنى : (التمكن) ، حيث أخبر الله عن حال هؤلاء المسلمين بأنهم صلبوا على جذوع النخلة حتى صار جذع النخلة قد تمكن منهم تمكنا كبيرا ، كأنه منهم.

قال الزمخشري : "شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه"[٥] ، وقال الطاهر بن عاشور : "ولذلك عدل عن حرف الاستعلاء إلى حرف الظرفية تشبيها لشدة تمكن المصلوب من الجذع بتمكن الشيء الواقع في وعائه "[٦].

ولولا القول بالتضمين لم يظهر هذا المعنى العظيم الذي يكشف عن غيظ فرعون وحنقه على المؤمنين بموسى من السحرة ؛ فإنه لم يكتف بصلبهم على جذوع النخل صلبًا عاديًا بل بالغ في ربطهم حتى كأنهم صاروا جزء من الجذوع ذاتها!.

---

(١) معاني القرآن للأخفش ص ٥١ .

(٢) انظر : مدرسة الكوفة، المخزومي ص٢٨٢-٢٨٤.

(٣) انظر : المدارس النحوية، شوقي ضيف ص٩٤.

(٤) انظر : المحرر الوجيز، ابن عطية ٥٣/٤.

(٥) الكشاف، الزمخشري ٧٦/٣ ، وانظر : البحر المحيط، أبو حيان ٣٨٥/٧ ، الدر المصون، السمين ٧٦/٨.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٦٥/١٦.

الموضع التاسع قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ ﴾ الشورى: ١١

قال ابن القيم : "والمعنى : يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعله لكم أزواجا..، والضمير في قوله : ﴿فِيهِ ﴾ يرجع إلى الجعل ، ومعنى الذرء : الخلق ، وهو هنا الخلق الكثير ، فهو خلق وتكثير ، فقيل : (في) بمعنى الباء ؛ أي : يكثركم بذلك ، وهذا قول الكوفيين ، والصحيح : أنها على بابها ، والفعل تضمن معنى ينشئكم ، وهو يتعدى بـــ(في) ، كما قال تعالى : ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الواقعة: ٦١"(١).

فسر ابن القيم هذه الآية بتضمين الفعل : ﴿ يَذْرَؤُكُمْ﴾ ، وهو بهذا موافق لمنهج المدرسة البصرية.

وقد اختلفت نظرة المفسرين إلى هذه الآية إلى قسمين ذكرهما ابن القيم :

الأول : أن : ﴿فِيهِ ﴾ بمعنى (به) أي : بسببه ، قال الطاهر بن عاشور : "وحرف (في) مستعار لمعنى السببية ؛ تشبيها للسبب بالظرف في احتوائه على مسبباته ؛ كاحتواء المنبع على مائه والمعدن على ترابه "(٢).

الثاني : تضمين الفعل : ﴿ يَذْرَؤُكُمْ﴾ معنى النشأة والإيجاد وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا ؛ حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد ، كما قال الزمخشري : " وهلا قيل : يذرؤكم به ؟ قلت : جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير "(٣).

ولا شك أن اختيار ابن القيم للتضمين يكشف عن هذا المعنى البديع ، والوجه البليغ بأسهل عبارة وأوجز أسلوب.

الموضع العاشر قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ الإنسان: ٦

قال ابن القيم : "فإنهم يضمنون : (يشرب) معنى : (يروى) فيعدونه بالباء التي تطلبها ، فيكون في ذلك دليل على الفعلين أحدهما : بالتصريح به ، والثاني : بالتضمن والإشارة

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ٢٨٠/٣.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٤٥/٢٥ ، وقد قال بالتناوب : الفراء في معانيه ٢٢/٣ ، والبغوي في تفسيره ١٧٦/٧ ، وابن كثير في تفسيره ١٩٤/٧.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٢١٢/٤،وانظر من قال بالتضمين :البيضاوي في تفسيره ٧٧/٥ ، أبو حيان في تفسيره ٣٢٦/٩.

إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار ، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها"[١].

ذهب ابن القيم في هذه الآية إلى القول بتضمين الفعل في (يشرب) ، كما في المدرسة البصرية في النحو.

وقد اختلف المفسرون حول سر التعبير في : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ﴾ ، وكان أصل النظم : (يشرب منها) لأن الفعل يشرب يعدى بـــ : (من) ولا يعدى بالباء ، وأجابوا على هذا بأجوبة منها: القول الأول : أنها مزيدة ، أي : يشربها ، وعلى هذا فلا فرق بين يشربها ويشرب بها ، واختار هذا القول بعض المفسرين كالفراء[٢] ، وابن عطية[٣].

٢/القول الثاني : أنها بمعنى (من) ، أي يشرب منها ؛ وهذا اختيار الكوفيين كما ذكر الطاهر بن عاشور[٤].

٣/ أن الباء للإلصاق أي : يشربون العين بتلك الكأس ، كما تقول : شربت الماء بالعسل ، ويكون التقدير : عيناً يشرب عباد الله خمرهم بها ، أي مصحوباً بمائها" ، وهذا اختيار الزمخشري[٥].

٤/ على تضمين الفعل (يشرب) معنى : (يروى) ، أي : يروى بها ، وهو ظاهر اختيار ابن جرير[٦] ، وشيخ الإسلام[٧] ، وابن كثير[٨].

ومما لا شك فيه أن نعيم الجنة فوق كل نعيم ، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر[٩] ، فكان من النعيم هذا الشراب الذي يشربونه ، فهم لا

---

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم ٢/ ٢١.

(٢) معاني القرآن، الفراء ٢١٥/٣.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤١٠/٥.

(٤) انظر : التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٨١/٢٩.

(٥) انظر : الكشاف، الزمخشري ٦٦٨/٤ ، وللوقوف على الأقوال انظر : أنوار التنزيل، البيضاوي ٢٧٠/٥ ، البحر المحيط، أبو حيان ٣٦١/١٠ ، الدر المصون، السمين ٦٠٠/١٠ ، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٧١/١٩.

(٦) جامع البيان، الطبري ٩٤/٢٤.

(٧) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٢٧٧/١.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٨٧/٨.

(٩) حديث قدسي ، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة ، ح٣٢٤٤ ، ١١٨/٤ ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، ح٢٨٢٤ ، ٢١٧٨/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر».

يشربونه سدًا لظمأ ، أو إرواء لعطش ، لكنهم يشربونه شرب المتلذذ به ، المتذوق لحلاوته ، وهذا المعنى هو المراد من الآية ؛ وليس الشرب فحسب ، فكان مما كشفه التضمين هذا المعنى البديع والوجه البليغ الذي لا يوجد في غيره.

الموضع الحاي عشر قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ ﴾ المطففين: ١ - ٢قال ابن القيم : " وأما قوله : ﴿ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فإنما دخلت (على) لتؤذن أن الكيل على البائع للمشتري ، ودخلت التاء في (اكتالوا) لأن افتعل في هذا الباب كله للأخذ ؛ لأنها زيادة على الحروف الأصلية تؤذن بمعنى زائد على معنى الكلمة ، لأن الأخذ للشيء كالمبتاع والمكتال والمشتري ونحو ذلك يدخل فعله من التناول والاجترار إلى نفسه والاحتمال إلى رحله ما لا يدخل فعل المعطي والمبايع "[١].

ذهب ابن القيم في هذه الآية مذهب المدرسة البصرية في تضمين الفعل : (اكتال) حيث إنه يتعدى بنفسه ، فكان في تعديته بحرف : (على) مزية ومعنى.

وقد اختلفت أنظار المفسرين أمام هذه الآية وانقسموا تجاهها إلى قسمين :

الأول : أن (على) بمعنى (من) ، وعلى هذا فلا فرق بين قول : (اكتلت منك) أو (اكتلت عليك) ، لأن المؤدى واحد وهو الشراء من الكيّال ، قال الفراء : "يريد : اكتالوا من الناس ، وهما تعتقبان : (على) و (من) في هذا الموضع ، لأنه حق عليه ؛ فإذا قال: اكتلت عليك ، فكأنه قال : أخذت ما عليك ، وإذا قال : اكتلت منك ، فهو كقولك : استوفيت منك"[٢].

الآخر : القول بالتضمين في : ﴿ٱكْتَالُوا۟﴾ مع تعديتها بحرف الجر : ﴿ عَلَى ﴾ حيث أفادت أن هذا الكيل هو كيل متسلط محتال ، لا هم له إلا الاستيلاء على الأموال ، والتمكن منها وزيادتها بأي طريقة كانت[٣] ، قال أبو السعود[٤] : " وتبديل كلمة : (على) بـــ (من) لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء ، أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضرّ

---

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم ٣٠٧/٢.

(٢) معاني القرآن، الفراء ٢٤٦/٣ ، وممن ذهب إلى هذا المذهب كذلك : الزجاج في معانيه ٢٩٧/٥ ، والطبري في تفسيره ٢٧٨/٢٤ ، والبغوي في تفسيره ٣٦٢/٨ ، والزمخشري في تفسيره ٧١٩/٤ ، والبيضاوي في تفسيره ٢٩٤/٥.

(٣) انظر : المحرر الوجيز، ابن عطية ٤٥٠/٥ ، البحر المحيط، أبو حيان ٤٢٦/١٠.

(٤) هو أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، فقيه أصولي مفسّر ، توفي سنة :٩٨٢هـ .
انظر: شذرات الذهب، ابن العماد ٨ / ٣٩٩ ، وطبقات المفسرين، الأدنه وي ص ٣٩٩ .

بهم "[1] ، وقال الطاهر بن عاشور : " وإنما عدي في الآية بحرف (على) لتضمين ﴿ٱكْتَالُوا۟﴾ معنى التحامل ، أي : إلقاء المشقة على الغير وظلمه ، ذلك أن شأن التاجر وخُلُقه أن يتطلب توفير الربح ، وأنه مظنة السعة ووجود المال بيده ، فهو يستعمل حاجة من يأتيه بالسلعة "[2] .

وقد توعد الله المطففين الذي ينقصون أموال الناس ، ويستوفون حقهم بالخسران المبين ، والعذاب الأليم ، فكانت هذه الآية شاهدة عليهم ، وواقعًا مطبقًا لهم ، وما كان هذا المعنى العظيم ، والوصف البليغ أن يظهر في الآية إلا من خلال التضمين.

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١٢٤/٩ ، وانظر : روح المعاني، الآلوسي ٦٨/٣٠.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٩٠/٣٠.

الخاتمة

وبعد عرض أقوال ابن القيم ، وحديثه الشيق عن التضمين ، وجهوده في إبراز المسحة البيانية من الآيات الكريمة والوقوف على البلاغة القرآنية ؛ أقف على أهم النتائج وهي كالتالي:

١) اختلاف المدارس النحوية في القول بالتضمين ، فمعظم الكوفيين يرون أن التضمين في الحرف ، ومعظم البصريين يرون أن التضمين في الفعل.
٢) يعتبر التضمين بالحرف من أسهل التخريجات التفسيرية ، لأن معناه القول بتناوب حروف الجر كما في مذهب مدرسة الكوفة.
٣) تكثر المعاني اللغوية ، وتتعدد الأقوال التفسيرية ، وتظهر البلاغة القرآنية بالقول بتضمين الفعل كما في مذهب مدرسة البصرة.
٤) كان ابن القيم من المنتصرين للمدرسة البصرية ، ومن المنتهجين لنهجها.
٥) عناية ابن القيم بهذا الأسلوب البياني ؛ وهو القول بالتضمين في الأفعال ، ووقوفه على أسرار تعدية الفعل بغير حرفه.

- **التوصيات:**

١/دراسة التضمين في الفعل واستخراج ما وراءه من معاني عظيمة ، ودرر كامنة.
٢/تناول أسلوب التضمين عند المفسرين ومعرفة أرائهم حوله وتقديرهم للفعل المضمن لإثراء المعاني القرآنية.

ثبت المصادر والمراجع

١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢٦ هـ.

٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ، ابن القيم محمد بن أبي بكر ، تحقيق: عواد عبد الله المعتق ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .

٣) أحكام القرآن ، ابن العربي أبو بكر محمد بن عبدالله ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار النشر : الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى.

٤) إرشاد العقل السليم ، أبو السعود محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٥) الأصول في النحو ، ابن السراج محمد بن السري ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة.

٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي محمد الأمين بن محمد ، مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر بيروت ، ١٤١٥هـ.

٧) إعجاز القرآن، الباقلاني محمد بن الطيب ، تحقيق : السيد صقر ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة.

٨) الأعلام ، الزركلي خير الدين ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة عشر، ٢٠٠٧ م.

٩) إنباه الرواة ، القفطي علي بن يوسف ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النشر : دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

١٠) أنوار التنزيل البيضاوي أبو الخير عبد الله بن عمر ، دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى.

١١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام عبد الله بن يوسف ، دار الفكر.

١٢) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : بهيج غزاوي ، دار إحياء العلوم.

١٣) بحر العلوم ، السمرقندي نصر بن محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى .

١٤) البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن حيان ، دار إحياء التراث ، الطبعة الثانية .

١٥) البداية والنهاية ، ابن كثير إسماعيل بن عمرو ، دار الفكر، ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤م.
١٦) بدائع الفوائد ، ابن القيم محمد بن أبي بكر ، تحقيق : محمد عطا وآخرون ، دار النشر : مكتبة نزار الباز ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
١٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكاني محمد بن علي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ.
١٨) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي محمد بن عبد الله ، تحقيق : زكي أبو سريع ، دار الحضارة ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٠ هـ .
١٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ
٢٠) البيان والتبيين ، الجاحظ عمرو بن بحر ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب ، الطبعة الأولى.
٢١) التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور محمد ، دار سحنون ، تونس ، ١٩٩٧م.
٢٢) التضمين النحوي في القرآن ، فاضل محمد نديم ، دار الزمان ، الطبعة الأولى.
٢٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير إسماعيل بن عمرو ، تحقيق : سامي سلامة ، دار طيبة ، الطبعة الثانية ،١٤٢٠ هـ.
٢٤) تفسير القرآن الكريم لابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق : سعد السعد ، المكتبة العصرية – صيدا –.
٢٥) التفسير الكبير ، الرازي فخر الدين محمد بن عمر ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى.
٢٦) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ، آل الشيخ صالح ، دار التوحيد ، الطبعة الأولى.
٢٧) تهذيب اللغة ، الأزهري محمد بن أحمد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ.
٢٨) تيسير الكريم الرحمن تفسير كلام المنان ، السعدي عبد الرحمن بن ناصر ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ
٢٩) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، الطبري محمد بن جعفر ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

٣٠) جمهرة اللغة ، ابن دريد محمد بن الحسن ، تحقيق : رمزي بعلبكي ، دار العلم.
٣١) الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي حسن بن قاسم ، تحقيق : د.فخر الدين قباوة وَ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية .
٣٢) حاشية الشهاب على البيضاوي ، الخفاجي أحمد بن محمد ، دار صادر ، بيروت.
٣٣) حروف المعاني ، الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م.
٣٤) الخصائص ، ابن جني عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار عالم الكتب.
٣٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي أحمد بن يوسف ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ،دار القلم ،الطبعة الأولى،١٤١٥هـ
٣٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات ، القاهرة ، الطبعة الأولى.
٣٧) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، ابن حجر أحمد بن علي ، دار إحياء التراث.
٣٨) ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب عبد الرحمن الحنبلي ، دار المعرفة ، بيروت.
٣٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي اسم محمود بن عبد الله ، دار إحياء التراث ، بيروت.
٤٠) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
٤١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم محمد بن أبي بكر ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وَ عبد القادر الأرنؤوط ، موسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩ هـ
٤٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي محمد بن أحمد ، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة.
٤٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد عبد الحي بن أحمد، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط وَ محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤١١هـ.
٤٤) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، الأشموني علي بن محمد بن عيسى ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
٤٥) شفاء العليل ، ابن القيم محمد بن أبي بكر ، تحقيق : أبو فراس الحلبي ، دار الفكر.

٤٦) الصناعتين ، العسكري الحسن بن عبد الله ، تحقيق : علي البجاوي ، المكتبة العصرية.
٤٧) ضرائر الشعر ، ابن عصفور علي بن مؤمن ، تحقيق : السيد إبراهيم ، دار الأندلس.
٤٨) طبقات المفسرين ، الداوودي محمد بن علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٤٩) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ، الشنقيطي محمد الأمين ، تحقيق : خالد السبت ، دار عالم الفوائد.
٥٠) فتح القدير في التفسير ، الشوكاني علي بن محمد ، دار ابن كثير ، الطبعة الأولى.
٥١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ، الطيبي الحسين بن عبد الله ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤ هـ.
٥٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ، ابن عثيمين محمد بن صالح ، دار ابن الجوزي.
٥٣) الكامل في اللغة ، المبرد محمد بن يزيد ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، دار الفكر.
٥٤) الكتاب ، سيبويه عمرو بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي.
٥٥) ابن القيم الجوزية حياته وآثاره وموارده ، أبو زيد بكر بن عبد الله ، دار العاصمة ، الطبعة لأولى- ١٤١٢ هـ .
٥٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري جار الله محمود بن عمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
٥٧) الكليات ، الكفوي أيوب بن موسى ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ.
٥٨) لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى.
٥٩) مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ،محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
٦٠) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٢هـ.
٦١) المحرر الوجيز في تفسير القرآن ، ابن عطية غالب بن عبد الرحمن الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام محمد ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٤٢٢هـ.

٦٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم محمد بن أبي بكر ، تحقيق: عامر علي ياسين ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ.
٦٣) المدارس النحوية ، ضيف أحمد شوقي عبد السلام ، دار المعارف.
٦٤) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، المخزومي مهدي ، مطبعة البابي ، الطبعة الثانية.
٦٥) معالم التنزيل ، البغوي الحسين بن مسعود ، دار طيبة ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ
٦٦) معاني القرآن ، الأخفش سعيد بن مسعدة ، تحقيق : عبد الأمير محمد أمين ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ
٦٧) معاني القرآن ، الزجاج إبراهيم بن إسحاق ، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ
٦٨) معاني القرآن ، الفراء يحيى بن زياد ، تحقيق : أحمد نجاتي وَ محمد النجار ، دار السرور.
٦٩) معجم المؤلفين ، كحالة عمر رضا ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ
٧٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام جمال الدين الأنصاري ، تحقيق: مازن المبارك وَ محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥م.
٧١) مفتاح العلوم ، السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد ، دار الكتب العلمية.
٧٢) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد ، تحقيق: صفوان عدنان داودي ، دار البشير ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ.
٧٣) مقاييس اللغة ، ابن فارس أحمد بن زكريا ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ.
٧٤) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، ابن مفلح براهيم بن محمد ، تحقيق : د.عبد الرحمن العثيمين ، دار الرشد.
٧٥) منهج أهل السنة في تفسير القرآن الكريم ، المتولي صبري ، مكتبة ابن الجوزي.
٧٦) النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة عشر.
٧٧) النكت والعيون ، الماوردي علي بن محمد بن حبيب ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

٧٨) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار ، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، جامعة أم القرى.

٧٩) الوافي بالوفيات ، الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط وَ تركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ.